

الخطاب الفائز بالمركز الثاني لعام 2018

الدَّوْلَةُ الْوَطَنُ

يَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ ..

سَأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ بِصِرَاحَةٍ وَمُكَاشَفَةٍ ، بِلَا مُجَامَلَةٍ أَوْ مُنَافَكَةٍ، بِلَا مَثَالِيَةٍ جَوْفَاءٍ أَوْ نَظَرَةٍ سَوْدَاءٍ، إِذْ لَا تَسْتَمِرُّ الْأَوْطَانُ فِي تَقَدُّمِهَا وَازْدِهَارِهَا الْمُنْشُودِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الصِّرَاحَةِ الْمَطْلُوبَةِ.

إِنَّمَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ نَحْدُ الْجَمِيعِ يَتَغَنَّى مُسْتَرَسِلًا حِينَمَا نَذْكُرُ «الْوَطَنَ» أَمَامَ مَسْمَعِهِ، أَمَا حِينَمَا نَذْكُرُ «الدَّوْلَةَ» .. فَإِنَّ الْبَعْضَ يَجِدُ نَفْسَهُ غَيْرَ مَعْنِيٍّ بِالدَّوْلَةِ تَمَامًا، أَوْ رَبَّمَا حَمَلَتْهُ الْأَحْلَامُ لِدَوْلَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا الْأُمَّمُ الْمُتَّحِدَةُ بَعْدُ.

أَلَا تُمَثِّلُ هَذِهِ مُعْضَلَةٌ؟ أَلَا يُمَثِّلُ هَذَا تَحَدِّيًّا أَمَامَ النَّاسِ فِي أَيِّ وَطَنٍ، أَوْ فَهْمًا قَاصِرًا لَمْ تَسْنِدْهُ تَرَكَمَاتُ الْمَاضِي جَيِّدًا لِمَفْهُومِ الدَّوْلَةِ الْقَائِمَةِ لَدَى شَرِيحَةٍ مَقْصُودَةٍ مِنْ كُلِّ وَطَنٍ.

لَقَدْ مَجَّدَ (توماس هوبز) الدَّوْلَةَ بِوَصْفِهَا حَلًّا أَخِيرًا لَضَبْطِ الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ وَالْإِنْسَانِ، الَّذِي يَجِدُ نَفْسَهُ فِي الْحَالَةِ الطَّبِيعِيَّةِ يَتَصَرَّفُ ضَمَنَ قَانُونِ حِفْظِ الْبَقَاءِ وَحَقِّ الْأَسْتِثْنَاءِ بِكُلِّ مَا يُرِيدُ عَبْرَ الْقُوَّةِ وَالغَلْبَةِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ فِي حَالَةٍ «حَرْبِ الْكُلِّ ضِدَّ الْكُلِّ»، وَهَذِهِ حَالَةٌ مُخِيفَةٌ تَدْفَعُ كُلَّ فَرْدٍ بَعْدَهَا لِطَلَبِ السَّلْمِ وَالْتِزَازِ عَنِ حَقِّهِ الْمَطْلُوقِ فِي تَمَلُّكِ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَتِمُّ هَذَا التَّزَازُ بِوَسْطَةِ عَقْدِ اجْتِمَاعِي يَأْذُنُ بِبَدَأِ ظَاهِرَةِ «الدَّوْلَةِ»، وَتَوَدِيعِ الْحَالَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الْهَمْجِيَّةِ إِلَى الْمَدِينِيَّةِ، إِذْ لَا بَدَأَ مِنْ سُلْطَةِ مَرَكَزِيَّةٍ يَخْضَعُ لَهَا الْجَمِيعُ، لِتَحْقِيقِ مُجْتَمَعِ الطَّمَأِينَةِ وَالسَّلَامِ، أَمَا فِي مَمْلَكَةِ الْبَحْرَيْنِ فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الْعَقْدَ الْجَمَاعِيَّ لِلدَّوْلَةِ الْحَدِيثَةِ قَدْ بَدَأَ فَعَلِيًّا فِي الْعَامِ 1971، وَقَدْ تَرَسَّخَ بِمِيتَاقِ الْعَمَلِ الْوَطَنِيِّ 2001، مَمْلَكَةِ عَرَبِيَّةٍ حُرَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ.

يَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ ..

الآن وَقَدْ أَعْتَلَى نَوَابِ الشَّعْبِ مَقَاعِدَهُمْ، وَاسْتَلَمُوا شَرَفَ تَمَثُّلِكُمْ، وَالْحَدِيثَ نِيَابَةَ عَنْكُمْ، تَرَفَّعُوا عَنِ مَنَاوِشَاتِ الشَّارِعِ فَنَاعَةً لَا إِزْغَامًا، وَأَنْقَلَبُوا غَلِيَانِكُمْ إِلَى ذَلِكَ الصَّرْحِ الَّذِي أَرَسَتْ الدَّوْلَةُ فَوَاعِدَهُ لِتَنْفِيسِ هُمُومِكُمْ، وَرَفْعِ صَوْتِكُمْ.

يَا أَيُّهَا الْغَاضِبُونَ، إِنْ كُنْتُمْ غَاضِبِينَ، فَرَّغُوا غَضَبِكُمْ بِصُورَةٍ أُخْرَى تَحْتَ قِبَةِ بَرْلَمَانِكُمْ، وَمُؤَسَّسَاتِ مُجْتَمَعِكُمْ الْمَدِينِيَّ بَدَلِ أَنْ تَسِيلَ عَلَى صُورَةِ دِمَاءٍ فِي الشَّارِعِ، أَوْ مَرَاقِقِ مُحَطَّمَةٍ فِي الْأَرْجَاءِ، فَيَحْسَبُ الْأَمِيرُكِيُّ (جون رولز) «الْعَدَالَةُ هِيَ الْفِضِيلَةُ الْأُولَى لِلْمُؤَسَّسَاتِ».

يَا أَيُّهَا الْمَنَاضِلُونَ، إِنْ كُنْتُمْ مَنَاضِلِينَ، حُدِّدُوا حُصْمَكُمْ جَيِّدًا، وَحَدِّدُوا صَدِيقَكُمْ جَيِّدًا، هُنَالِكَ مَسَاحَةٌ لِلصَّجِيحِ، هُنَالِكَ مَسَاحَةٌ لِلتَّعْبِيرِ، هُنَالِكَ مَسَاحَةٌ لِلتَّاجِيلِ، التَّغْيِيرِ، التَّعْدِيلِ، نَعَمْ، مَسَاحَةٌ لَهَا حُدُودٌ، قَدْ لَا تَقْبَلُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا مَسَاحَةٌ، تَضْمَنُ حُرِّيَّتِكُمْ لِلْحَدِّ الَّذِي لَا يَهْدِمُ أَرْكَانَ الدَّوْلَةِ وَيُضْعَعُ اسْتِقْرَارَهَا.

يَا أَيُّهَا الْمُعَاتِبُونَ، إِنْ كُنْتُمْ مُعَاتِبِينَ، فَالدَّوْلَةُ هِيَ أَنْتُمْ، وَلَيْسَتْ كَيَانًا مُنْفَصِلًا عَنْكُمْ، شَارِكُوا مِنْ



الدَّاخلِ فِي تَصَحِيحِهَا وَتَطْوِيرِهَا ضَمَنَ النِّظامِ القَائِمِ. كَفَى انْعِزالًا وَالْمِتسَلِقُ يَلْهُو، كَفَى تَفَرُّجًا وَالْمِنَافِقُ يَتَصَدَّى، كَفَى تَدْمُرًا وَالطَّبَّالُ يَنْفِرِدُ، أَنْتُمْ مَنْ يَصْنَعُ مُتَمَفِّدًا جَدِيدًا، وَفَاسِدًا جَدِيدًا، وَمُخْرَبًا جَدِيدًا.

أَحْلَامُكُمْ المَشْرُوعَةُ لَمْ تُهَاجَرَ بَعْدُ، هِيَ هُنَا تُرَسَّمُ بِأَيْدِيكُمْ، أَحْلَامًا لَا تَبْدَأُ مِنَ الصَّفْرِ، أَحْلَامًا لَا تُتَكَرَّرُ الدَّوْلَةُ القَائِمَةُ، أَحْلَامًا لَيْسَتْ هِيَ نِظامًا ضِدَّ نِظامِ، بَلْ رُؤْيَا ضَمَنَ رُؤْيَى نِظامِ وَاحِدٍ، وَكَيانِ وَاحِدٍ، فَالحَلُّ بِأَيْدِيكُمْ لَا يَبِيدُ غَيْرَكُمْ، إِخْرَجُوا مِنَ نُوبِ التَّبَعِيَّةِ، فَالطَّرِيقُ أَسهَلُ بِكَثِيرٍ بَعِيْنِ حُرَّةٍ وَعَقْلٍ مُسْتَقِلٍّ.

يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ اليَافِعُ الجَمِيلُ، أَنْتَ لَسْتَ مُلْكًا لِلسَّاسَةِ المَرَضَى، وَلَسْتَ قُودًا لِلوَضَى، سَأَحْرُضُكَ عَلَي الطُّمُوحِ العَنِيدِ، ابْدَأْ مِنْ هَاتِكِ المَخْبُوءِ فِي جَنَبِكَ، هُنَا بَيْتُ القَصِيدِ، اسْتَعْمَلْ خَاصِيَّةَ الحِظْرِ لِكُلِّ مَنْ يَعْطَلُ طَرِيقَ مُسْتَقْبَلِكَ السَّعِيدِ، وَلَوْ بِفِكْرَةٍ عَابِرَةٍ مَسْمُومَةٍ، أَوْ صُورَةٍ بَسِيطَةٍ مَشْهُومَةٍ، لَسْتَ مُجْبِرًا أَنْ تَكُونَ حَاوِيَةً لِأَحْلَامِهِمُ التَّافِهَةِ، أَوْ إِطارًا لِغَايَاتِهِمُ الضَّائِعَةِ، ابْدَأْ الآنَ، وَأَصِفْ مَنْ يَلْهُمُكَ، سِرِّكَ، بَعِيْنِكَ، يَرْشِدُكَ، يَهْمُكَ.

مَكَانُكَ يَا شَتِيقِي لَيْسَ فِي أَرْفَةِ الصَّيَاحِ، بَلْ فِي مَدِينَةِ الشَّبَابِ وَالِاخْتِرَاعِ، مَكَانُكَ لَيْسَ رَقْمًا جَمْعِيَّةً مُخَلَّةً أَوْ عُنْصُرًا فِي خَلِيَّةٍ مُخَلَّةٍ، بَلْ رُئِيسًا لِابْدَارَةِ شَبَابِيَّةِ سَبَاقَةِ، وَأَمِينًا فِي مَجْلِسِ طُلَّابِي جَامِعِي يُعَانِقُ السَّمَاءَ بِأَفْكارِهِ الخُلَاقَةِ، وَرَائِدَ عَمَلٍ فِي شَرِكَةٍ مُبْتَكِرَةٍ عَمَلِاقَةٍ، وَحَاصِدًا لِلذَّهَبِ فِي شَتَى المَجَالَاتِ.

لَمْ أَنْتَهُ بَعْدُ يَا إِخْوَانُ، وَسَأَقُولُهَا لَكُمْ بِالْفَمِ المَلِيانِ، إِذَا كَانَتِ الجَمَاعَةُ مُشْكِلتَكُمْ، فَكُونُوا خَارِجَ الجَمَاعَةِ، نَعَمْ .. خَارِجَ الجَمَاعَةِ وَدَاخِلَ الدَّوْلَةِ، إِنْ كَانَتِ الجَمَاعَةُ لَا تَمْلِكُ إِعْطَاءَكَ الوظيفَةَ بَلْ أَوَامِرَ الإِضْرَابِ عِنْهَا، إِنْ كَانَتِ الجَمَاعَةُ لَا تَمْلِكُ سُلْطَةَ التَّشْرِيعِ بَلْ أَوَامِرَ المَقاطَعَةِ، إِنْ كَانَتِ الجَمَاعَةُ لَا تَمْلِكُ إِعْطَاءَكَ بَيْتَ الإِسْكَانِ المُرْتَقِبِ بَلْ شَفَقَ اللُّجُوءِ السِّيَاسِيِّ، إِنْ كَانَتِ الجَمَاعَةُ لَا تَمْلِكُ إِرسَالَكَ مُمْتَلًا لوطْنِكَ أَوْ مُنْتخِبِكَ فِي مَحْفَلِ دَوْلِيٍّ، بَلْ مُهَاجِمًا فِي الشَّاشَاتِ بِلا جَوَازِ بَحْرِيٍّ، إِنْ كَانَتِ الجَمَاعَةُ لَا تَمْلِكُ إِعْطَاءَكَ بَعْتَهُ تَعْلِيمِيَّةً لِتَعُودَ قَابِضًا بِشَهَادَةِ عَمَلِيَّةٍ مَرْمُوقَةٍ بَلْ بِإِعْلَانِ «القَبْضِ عَلَي الزَّيَادِ» وَ«الجِهَادِ» وَشَهَادَةِ مَوْتِ مُؤَلَّةٍ، إِذَا كَانَتِ الجَمَاعَةُ تُرِيدُ لِعَشِيرِهَا أَنْ يَكُونَ الوَازِرَ التَّالِي، وَتُرِيدُ لَكَ أَنْ تَكُونَ السَّجِينِ التَّالِي أَوْ الشَّهِيدِ التَّالِي، فَإِنَّ المِصَالِحَةَ الَّتِي تَتَطَهَّرُهَا لَيْسَتْ هِيَ المِصَالِحَةَ، وَإِنَّ التَّصَرُّ الَّذِي تَنْشُدُهُ لَيْسَ هُوَ التَّصَرُّ، وَإِنَّ الجَمَاعَةَ أَصْلًا لَيْسَتْ هِيَ الجَمَاعَةُ.

يقول الإنجليزِي (جون لوك): «يَبْدُو لي أَنَّ الدَّوْلَةَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ تَكُونَتْ لِعَرَضٍ وَحِيدٍ، وَهُوَ المِحَافِظَةُ عَلَي خَيْرَاتِهِمُ المَدِينِيَّةِ وَتَمْتِيتِهَا»، جَمَاعَتُكَ الحَقِيقِيَّةُ هُنَا بِدَاخِلِ الوَطَنِ، لَا هَيْكَلُ دَوْلَةٍ بَدِيلَةً لَدَيْهَا حَتَّى تَمِيتَكَ مِنْ أَجَلِهِ، جَمَاعَتُكَ هُنَا .. تَتَحَرَّكُ وَفَقَ تَجْرِبَةُ تَارِيخِيَّةٍ لِدَوْلَةٍ شَامِخَةٍ نَالَتْ

اعْتَرَفَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، وَتَكَوَّنَتْ بِشَكْلِهَا الْحَدِيثَ بَعْدَ مَخَاصِطِ عَسِيرَةٍ وَأَطْمَاعِ مَرِيرَةٍ، جَمَاعَتِكَ هُنَا .. أَنْتَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَأُ مِنْهَا، عَائِلَتِكَ، مَنْطَقَتِكَ، عَادَاتِكَ، رِجَالَاتِكَ، تَارِيخِكَ، عَشِّ كَرِيمًا وَلَا تَمَتْ مِنْ أَجْلِ حَزْبٍ، مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ، إِلَّا إِذَا كَانَ اسْمُهُ «الْوَطَنُ».

كُلُّ أَصِيلٍ بِأَصْلِهِ، وَأَنْتَ لِأَرَيْبٍ أَصِيلٌ، فَلِمَ تَطْمَسُ أَصَالَتَكَ؟ أَنْتَ مُكُونٌ فِي الْوَطَنِ، وَلَسْتَ يَا أَخِي الْوَطَنُ، هَلْ سَتَصُدُّ عَنْ كُلِّ فُرْصَةٍ لِلْحَيَاةِ مُنْتَظِرًا أَنْ تَكُونَ وَحْدَكَ وَطَنًا؟ وَمَتَى سَيَكُونُ ذَلِكَ؟ أَوْ هَلْ سَتَبْقَى فِي عِدَادِ الْمَوْتَى حَتَّى يَحِينَنَّ ذَلِكَ؟ وَإِنَّ ذَلِكَ تَاللهُ لَنْ يَحِينَنَّ، أَخِي الْحَبِيبُ .. حَتَّى تَكُ اللَّحْظَةَ الَّتِي تَقَعُ فِي اللَّزْمَانِ .. سَتَكُونُ الْهَجْرَةَ وَطَنَ أَفْكَارِكَ، فَاهْجُرْ هِجْرَتَكَ وَارْجِعْ إِلَى أَفْكَارِ وَطَنِكَ.

أَخِي الْحَبِيبُ، أَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَ التَّبْهِيْتِ لَا زَالَ مُسَلِّطًا بِدَاخِلِ وَطَنِكَ وَضِدَّ مَصَالِحِكَ، وَ«التَّبْهِيْتِ السِّيَاسِيِّ» يَعْنِي جَعَلَ الشَّيْءَ بَاهِتًا مُنْزَوِعَ الْأَلْوَانِ، وَهَذَا التَّبْهِيْتِ قَدْ يَنَالُ مِنْ مَرْجِعِ وَطَنِي وَيُسْفَهُ تَارِيخَهُ، أَوْ مِنْ مِبَادِرَةِ إِصْلَاحِيَّةٍ فَيَعِزِّلُهَا اجْتِمَاعِيًّا، أَوْ عَنِ عَائِلَةٍ مَعْرُوفَةٍ حَكِيمَةٍ فَيُظْهِرُ حَكْمَتَهَا جُبْنًا أَوْ طَمَعًا، أَوْ تِيَارَ عِلْمِيٍّ فَيَجْعَلُهُ مَتَارًا لِلْسُّخْرِيَّةِ وَالضُّحْكَ حَتَّى لَا تَتَّاحَ الْفُرْصَةُ لِقَابِلِيَّةِ النِّقَاشِ الْعِلْمِيِّ أَسَاسًا، أَوْ عَنِ نِيَّةٍ حَسَنَةٍ فَيُشْكَكُ فِي حُسْنِهَا وَيُبْرَهَنُ سُوءَهَا، أَوْ عَنِ فِكْرَةٍ جَمِيلَةٍ يَدْعِيهَا صَاحِبُهَا وَيُنْفِذُهَا لِيُكَشِّفَ بَعْدَ فِتْرَةٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْتَرِفْ بِإِطْلَاقِهَا أَسَاسًا، وَالْفَضْلُ يَعُودُ لِحَضْرَةِ التَّبْهِيْتِ السِّيَاسِيِّ.

هَلْ وَجَدْتَ مُحِيطَكَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى حَقْلِ دَلَالِيٍّ مُخْتَلَفٍ تَمَامًا؟ فَالْمُصْلِحُ عَمِيلٌ، وَالْمُسَالِمُ ضَالٌّ، وَالْمُصَافِحُ مَبْذُورٌ، وَالْمُنْفَتِحُ طَامِعٌ، وَالْحَكِيمُ جَبَانٌ، وَالْمُخْتَلَفُ أَحْمَقٌ، وَالْكَفَاءَةُ مَدْفُوعٌ، مَصْبُغَةٌ سَالِبَةٌ تَسْلُبُ بَهَاءَ اللَّوْنِ مِنْ ذَوِيهِ، وَتَكْتَبُ تَارِيخُنَا عَلَى مِرَاجِحِهَا الْكَرِيهِ، أَعِدِ الْمَشْهَدَ بِالْوَانِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَسْتَدْرِكِ الْكَثِيرَ، يَا أَيُّهَا النَّبِيَّةُ.

أَعِدْهُ وَسْتَنْتَهِي الْأَوْجَاعَ وَأَهَاتِ الْأَمَهَاتِ وَسَتَعْلُو هَامَاتُ الرِّجَالِ وَضَحَكَاتُ الْأَطْفَالِ، قُلْ لِلْسَّاسَةِ كَفَى، كَفَى بَيْعًا لِلْوَهْمِ وَلَعِبًا بِالْجَمَاهِيرِ، كَفَى تَكْسِبًا عَلَى أَكْتَافِ الْفَقِيرِ، كَفَى تَسْيِيرًا إِلَى الْحَضَرِ وَالسَّيْرِ، إِنَّمَا انْتَلَجَسِيَا الْبَحْرَيْنِ الَّتِي صَمَّتَتْ طَوِيلًا، وَتَفَجَّرَتْ لِتُعِيدَ الْيَوْمَ أَلْوَانَ اللُّوْحَةِ، أَلْوَانَ الْفَرَحَةِ، مِنْ أَجْلِ الْبَحْرَيْنِ .. الدَّوْلَةُ الْوَطَنُ.